اللمسة الفنية لبلاغة السجع في خطاب الإمام الكاظم عليه السلام

المدرس المساعد
نور هاشم محمد الغريفي
Noorhashim672@gmail.com
المديرية العامة للتربية في النجف الأشرف

The artistic Touch of the Eloquence of Assonance in the Speech of Imam Al-Kadhim

Assist. Teach.
Noor Hashim Mohammad al-Ghraifi
The Directorate General of Education - Al-Najaf Al-Ashraf

الملخص:-

إن البحث قائم على بيان الأسلوب الفني للإمام عليه السلام من خلال الوقوف على جمالية الخطاب ولمسات هذا الخطاب المتجلية في فن السجع بحد ذاته، فقد عمد الإمام الكاظم عليه السلام في خطابه إلى لفت السامع في استعمال الألفاظ المتناسقة والتي تعطي نغماً موسيقياً في نفس المتلقي، وقد أخذ البحث مضمار التقسيم من حيث السجع وتعريفه في اللغة الاصطلاح، من حيث التأصيل اللغوي والاصطلاحي لمفهوم السجع، ثم بيان أهمية السجع وما له من تأثير لدى المتلقي و خلق جو من النسق اللفظي المؤثر الذي ينعكس في رسم الصورة الفنية الرائعة في ذهن السامع، ثم توقفنا عند أنواع السجع وبيان أنواعه بالاعتماد على المصادر البلاغية المعتبرة، ثم مرحلة التطبيق على نصوص الإمام الكاظم عليه السلام وبيان الدلالات المهمة في طيات هذا الفن البلاغي.

الكلمات المفتاحية: الإمام الكاظم عليه السلام، بلاغة السجع، الصورة الفنية، المصادر البلاغية، السجع المرصع، السجع المتوازي، السجع الطرف.

Abstract:-

The research is based on showing the artistic style of Al-Imam Al-Kadhim by examining on the aesthetics of the speech and the touches of this speech that are manifested in the art of assonance itself. In his speech Al-Imam Al-Kadhim drew attention to the use of harmonious words that give a musical tone to the recipient. The research took the field of division in terms of assonance and its definition in the language, and the terminology, in terms of the linguistic and idiomatic rooting of the concept of assonance, then, show the importance of assonance and its effect on the recipient and create an atmosphere of influential verbal pattern that is reflected in drawing the wonderful artistic image in the mind of the listener. Then we examined the types of assonance and stated its kinds by adopting the considered rhetoric sources. Then, the stage of application to the texts of Imam Al-Kadhim and the statement of the important implications in the folds of this rhetorical art.

Keywords: Al-Imam Al-Kadhim, the eloquence of assonance, artistic image, rhetorical sources, studded assonance, parallel assonance, extreme assonance.

المقدمة:ـ

إن دراسة البحث قائمة على التحليل البنيوي للنص الكاظمي و بيان المحسنات اللفظية التي ينتهجها الإمام عليه السلام في مخاطبة كافة المستويات الفكرية، وما لها من وقع مؤثر في نفس المتلقي على الصعيدين الدنيوي والأخروي، مما ينعكس على التصرفات الفردية لدى السامع و حالة الاستقامة الروحية و مدى الاستفادة من هذه الميزة القيمة في اعتلاء المنهج الصحيح فمسيرة الحياة الدنيا.

في طبيعة الحال الكلام الصادر من الإمام عليه السلام ليس كالكلام الذي يصدر من غيره، فطبيعة الخطاب تخضع لمقومات البنية البلاغية وما تحمله من رؤى ابداعية نافذة إلى أذن السامع، ولعل واحداً من مقومات التأثير الكلامي لدى المتلقي هو الفن البنيوي الذي يمتلكه منتج النص بما يحمل مقومات بناء النص والتركيبة اللغوية المؤثرة في المتلقي.

ومما لا شك فيه فقد عملت في بحثي الخطابي على دراسة النص الكاظمي من حيث تأثيره من خلال البنية السجعية وجعل النص وحدة نصية متكاملة مؤثرة بشكل ملفت في نفسية المتلقي وهذا واضح بشكل جلي لدى القارئ.

من الملفت للنظر أن الدراسة التي تقوم على الدراسة الأدبية وتحليل الخطاب تعد من المحاور التي يُنظر لها بمنظار الاعتبار في المحور اللغوي، ففي هذه الدراسة جمالاً ورونقاً وهي تزدان في حب آل البيت عليهم السلام ، حيث تعد نصوصهم من أرقى النصوص الأدبية تماسكاً وتألقاً، و هذا ينعكس بشكل واضح وجلي على أهمية هذه الدراسة ووضعها الأدبي وتصبح محط اهتمام لدى القارئ والسامع.

إن النص إذا كان فيه ابداعاً نصياً من خلال التركيبة البنيوية فهذا يؤدي على كد الذهن لدى المتلقي وشد الذهن والتلون الصور والافكار، مما يعكس حب الدارس على دراسة هذا النص دراسةً يُظهر فيها مكامن الابداع النصي حيث ينطلق الدارس نحو الابحار في عالم التحليل بما يملك من مفاتيح لغوية تجعل من الدراسة محط اهتمام ومتعة لدى المتلقي، وهذا ما يُعطي الدراسة أهمية مطلقة في كونها تقع في خانة التركيبة البنيوية الجميلة المؤثرة.

ليس من اليسير الخوض في غمار بحر أحاديثهم و إظهار مميزات نهج أهل البيت عليهم السلام الكلامي، ودراسة فنونهم القولية التي تتمتع بها أقوالهم، فالإبحار في عمق هذا البحر العلمي العميق واظهار درره المكنونة يحتاج إلى توفيق وتسديد رباني حتى تصل إلى ساحل بر النجاة، و مع العلم في صعوبة التجربة إلّا أني أصررت في خوضها لما لهذه التجربة من نتائج إيجابية وتحقيق المنى على الصعيد الدنيوي والأخروي، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سينا محمد و آله الطيبين الطاهرين.

فن السجع:

تمتاز التقنية الأسلوبية بوحدة النص الموسيقي التي يتركز عليها السّجع، فالسجع له التأثير البليغ في النفوس السامعة و له قابلية الجذب الروحي و قوة المقبولية النصية و مدى أثر الخطاب حين احتوائه على السجع مما يعكس امتزاج بين الألفاظ المسجوعة و روحية السامع؛ بحيث يخلق انسجاماً خلاقاً له أثره في مقبولية و ابداع النص.

السجع في اللغة:

السجع في اللغة ((سجع: سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استَوَى وَاسْتَقَامَ وأَشبه بَعْضُهُ بَعْضًا))[١] وكذلك قيل ((سجَعَت الحمامَةُ أو النَّاقةُ سَجْعاً، إذا رَدَّدَتْ صَوْتَها عَلى طريقة واحدة. ويقال: سجَعَ المتكلّم في كلامه، إذا تكلّم بكلامٍ له فواصل كفواصل الشّعر مُقَفّىً غير موزون.))[٢].

السجع في الاصطلاح:

قد ورد تعريف السجع ((بأنه تماثل الحروف في مقاطع الفصول))[٣] مما يعنيه توافق الأصوات في نهاية الألفاظ الواردة، في حين عدّه آخرون ((وحدُّه أن يقال: تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد.))[٤] فالتوافق في الأصوات التي تكون في اواخر الألفاظ يعطي صورة ذات رونق موسيقي تعكس جمالية النص المتكون من هذه الألفاظ، فالمهارة الفردية التي يتمتع بها الكاتب في توزيع الفونيمات بالشكل الصحيح مكونة الدوال تعطي نغماً موسيقياً رائعاً مع إحداث جرس لهذه الدوال في ذهن المتلقي مما

يعكس متعة نصية جميلة، ((هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النّثر، و لأفضله ما تساوت فقره.))[٥].

أهمية السجع:

إن نهايات الفقرات المتشابهة التي خلقها السجع تعمل على خلق دعم صوتي فاعل ومؤثر في النص ومن ثم يشكل عنصرا ايقاعياً للإقناع و أقوى من ذلك هو وجود دلالة رابطة بين الألفاظ التي تحمل السجع في طياتها فتَخلق تناغماً صوتياً بحيث تكون ذا تأثير فعال مما يُعطي انسجاماً نصياً فالغرض من هذه الملاحظات خلق التآلف والتوافق بين الألفاظ المسجوعة[٦]، ومما يزيد جمالية السجع يكون مسترسلاً وغير متكلف ولا متصنع وكذلك لا يكون في كل النص بحيث يصيب الملل للسامع[٧].

تأتي أهمية السجع في عملية نقل الواقع النثري الذي يكونه النثر من كلام بسيط إلى كلام مؤثر له قيمته المؤثرة من خلال الايقاع الفني المميز الذي يهيمن على النص[٨]، ومهما اختلفت التعريفات و لو بشيء بسيط يبقى المضمون واحد و هو اتفاق الفواصل. وقد ذهب بلاغي آخر في كونه مصدراً في الوقف حاله أجمل ((الأسجاع على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفاً عليها لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف))[٩]، ومهما يكن حال السجع فالدلالة في استعماله دلالة صوتية في شدّ النفوس ووقعها وحثّها على النغمات التي تصدرها الأصوات المتآلفة في فواصل الفقرات، والملاحظ من خلال مرورنا على التعريفات أن السجع يختص بالنثر دون الشعر ففي الشعر تسمى القافية في حين يسمى في النثر السجع، و قد لازمت صفة النثر للسجع وهو مساحته الواسعة وذلك أن البنية الايقاعية التي تطغى على النص المنثور هو السجع في حين المنظوم يحتوي على مقومات ايقاعية كثيرة[١٠] ويعد وسيلة مهمة في تحقيق التوازن بين الألفاظ في العنصر الصوتي مما يجعله قريباً من الشعر، فالطاقة التي يحملها النثر تعطي استقراراً في المعنى مع التلائم الصوتي في فقرات الكلام المنثور مما يكون مؤثراً وفاعلاً في نفسية المتلقي بشكل كبير إذ إن رنين الألفاظ له الفاعلية في احداث جرس وايقاع مؤثر في نفس المتلقي من حيث انبعاثه في نفسه و طيات روحه[١١].

إن السجع له الفاعلية في جعل النفوس ميالة لسماعه والأذن لها النشاط الواسع لتقبله فهو له القابلية في قرع الآذان مما يملكه من الموسيقى الفاعلة و المؤثرة، فنهاية الفقرات تخلق ايقاعاً جميلاً له وقعه الجميل في نفس السامع[١٢] إذ يعد واحداً من الآليات التي تستقطب السمع وتجذب الانتباه لما يملكه من جرس فاعل وبالتالي يعد واحداً من الوسائل المهمة في التقنيات الأسلوبية[١٣].

وتأتي أنواع السجع: فقد وردت أنواع عديدة في خطاب الإمام عليه السلام منها (السجع المرصع، المتوازي، المطرف) إذ إن الناظر إلى نص الإمام الكاظم عليه السلام يجد خطابه فيه لوناً مميزاً من الإيقاع الداخلي في حيثيات النص و التي تعمل على شدّ الذهن لدى السامع الذي أحدثته الألفاظ المتآلفة بنسق موسيقي في تراكيب و دوال النص.

فن السجع المرصّع:

عُرِّف السجع المرصع ((هو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلُّها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزناً و تقفية))[١٤] و الذي يعني بأن تتقابل الألفاظ بين بعضها بنفس الوزن والروي[١٥] و هذا مما يلاحظ في هذا النوع أنه يعطي نسقاً صوتياً مؤثراً من خلال وحداتها الصوتية المتماثلة في ألفاظها المتواردة[١٦].

وهذا ما نلاحظه في خطاب الإمام عليه السلام باستعمال السجع المرصع في الدعاء الوارد:

((اللّهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحويل عافيتك، ومن فجأة نقمتك، ومن درك الشقاء ومن شر ما سبق في الكتاب، اللهم إني أسالك بعزة ملكك وشدة قوّتك، وبعظيم سلطانك وبقدرتك على خلقك))[١٧].

التراكيب المنسقة بشكل ايقاعي تتسم بالدلالة الواضحة و الرسم الدوالي الصحيح في استعمال المفردات بالشكل الذي يحقق النتائج المرجوة في صيغة الدعاء، فالألفاظ التي تحمل السجع المرصع هي (نعمتك و نقمتك) فهذه الألفاظ خلقت توازناً في النسق الإيقاعي والنسق الدلالي فهذه تركيبة تصنع الشعرية في النص وتجعله أكثر شعرية[١٨] والذي أعطى النص النزعة الإيقاعية و ذلك للتأثير في أذن المتلقي ووعيه، فالفن السجعي الترصيعي (اسلوب مزدوج يتجمع فيه مبدأ الفك و مبدأ التجزئة، ثم يضاف مبدأ التقفية الداخلية

فيتركب التوازن المفصلي مع الايقاع الصوتي و النغم المقطعي)[١٩] فهذا التوزيع الإيقاعي في الألفاظ الذي استعمله الإمام عليه السلام ينم عن براعة في التوزيع الصحيح بحيث تصبح مؤثرة و فاعلة في نفسية المتلقي مما يكون لها مردود ايجابي في الانقطاع الروحي للعبد في حال الدعاء والتضرع للباري جل شأنه وبالتالي تكون مستويات الإجابة للدعاء أكبر والتواصل الروحي للعبد مع خالقه تكون أعمق و أدق بمعزل عن المؤثرات الخارجية و هذا ما يسمى بالخشوع عند الدعاء حتى يحقق الدعاء المطلوب منه تحقيقه.

ومن السجع المرصع قوله عليه السلام:

((اللّهم تمَّ نورك فهديت، و عظم حلمك فعفوت، و بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، وجهك خير الوجوه و عطيتك خير العطية فلك الحمد، تُطاع ربنا فتشْكُر و تعصى فتغفِر، تُجيب المضطر و تَكشف الضر وتُشفي السقيم وتُنجي من الكرب العظيم، لا يجزي بآلائك ولا يحصي نعمائك أحد، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء فارحمني ومن الخيرات فارزقني، تقبّل صلواتي واسمع دعائي، ولا تُعرض عني حين أدعوك ولا تحرمني إلهي حين أسألك من أجل خطاياي، ولا تحرمني لقاءك، واجعل محبّتي وإرادتي محبتك وإرادتك، واكفني هول المطلع))[٢٠]

النص يعجّ بالسجع وبين طاقة مشحونة بالصدق القلبي والتوجه اللساني والألفاظ المقصودة في المعرفة والوضوح، فقد وردت الألفاظ المسجوعة على نسق عالٍ من الترتيب والتنظيم والنغمة الموسيقية والإيقاعية فجاءت الألفاظ التي تحمل سجعاً متزناً كالآتي (هديت و عفوت) (تشكر و تغفر) (سقيم و عظيم) (ارحمني و ارزقني) فأدّى هذا الزخم التركيبي مهمة ايقاعية مؤثرة في النفوس و الأسماع مع التصوير الرائع في تنوع الدلالة اللفظية في كل فقرة من فقرات الدعاء[٢١] فالتراكيب الواردة اعطت بعداً ايقاعياً و تصويرياً في توطين الدعاء الخالص لوجه الله تعالى و بيده وحده الإجابة و قضاء الحوائج و تيسير الأمور، فالنص له مساحة واسعة في التنوع اللفظي و اختيار الالفاظ التي تنتهي بالفواصل المنسجمة في الصوت، فالتنوع البديعي في تنوع الفواصل الذي لعبه التنوع اللفظي في المقاطع المسجّعة لها دلالة واضحة في تصور المتكلم لأهمية الإيقاع في بقاء التواصل مع عرض الأفكار بشكل متوازن في سبيل ايصال الدلالة إلى المتلقي بشكل

سليم و واضح[٢٢] فالإمام عليه السلام شكّل النص بشكل تقني رائع و استعمل التقنية السجعية التي هي من مقومات التقنية الأسلوبية مما خلق نصاً تتحكم فيه الصبغة الإيقاعية و النبرة الكلامية و الجرس المستعمل في قرع الأذهان حتى أصبح الخطاب مؤثراً و فاعلاً بشكل ملفت للسامع مما يخلق من الانقطاع في تأدية أجواء الدعاء و بالتالي يصبح الداعي في جو من الخشوع في الدعاء بحيث تصبح النتيجة في استجابة الدعاء ايجابية و جني ثمار الدعاء، فخطاب الإمام عليه السلام دلالة على دقّة وقدرة و رزانة قوله و استعماله القدرة الكتابية و التحفة القولية في ايصال الأفكار و توطين المسار نحو وجه صائب القرار حتى ينال المرء رضا الخالق الرازق إنه سميع منيع.

السجع المتوازي:

ويقصد به (أن تتّفق اللفظة الأخيرة من الفاصلة أو القرينة (أي الفقرة) مع نظيرتها في الوزن و الروي أو القافية)[٢٣] و الذي هو اتفاق اللفظتين في الوزن و الروي[٢٤] فهو يكشف عن اللغة الرصينة لصاحب النص في استعمال الألفاظ و ترتيبها[٢٥]فهذا الترتيب في الألفاظ يعمده المتكلم في انتقاء الألفاظ عن قصد و عمد و ادراك في اختيار الفاظ مسجوعة تتفق مع بعضها في الروي والوزن[٢٦].

وقد لاحظنا في نص الإمام عليه السلام هذا النوع من السجع قد تفنّن به خطابه، إذ ورد على لسانه عليه السلام:

((اللّهم اغفر لي كلَّ ذنب يحبس رزقي و يحجب مسألتي أو يقصر بي عن بلوغ مسألتي أو يصُد بوجهك الكريم عني، اللهم اغفر لي وارزقني، وارحمني، واجبرني، وعافني واعف عني وارفعني واهدني وانصرني، وألقِ في قلبي الصبر و النصر يا مالك الملك فإنه لا يملك ذلك غيرك، اللهم مصرِّف القلوب، غفّار الذنوب، خذ بسمعي وقلبي وبصري ووجهي إليك ولا تجعل لشيء من ذلك مصروفاً عنك و لا منتهى له دونك))[٢٧].

وردت الكلمات التي سجلت سجعاً متوازياً في الألفاظ الآتية كل بضع كلمات شكلت صورة مختلفة عن الصورة الأخرى فالكلمات المسجوعة هي (ارحمني وارزقني واجبرني وارفعني وانصرني) وكذلك (القلوب والذنوب) (سمعي، قلبي، بصري، وجهي) فقد أدى هذا التناسق والترتيب اللفظي في خلق البنية الإيقاعية للسجع بما يحدث جرساً لدى

المتلقي[٢٨] ويمكن ملاحظة التأثير الصوتي للراء في التكرار[٢٩] الذي أحدثه في التأكيد في الصفات الإلهية و بيده سبحانه وتعالى العطاء والهبة فهذا السجع الذي أحدثه في النسق اللفظي للنص اعطى جمالية نصّية مما يعكس لوحة فنية لصورة الداعي وهو يدعو خالقه من التضرع والخشية مع الإلحاح في الدعاء وهذا الإلحاح من موجبات إجابة الدعاء ويقينية حدوثه و هذا كله مدى ذوبان المخلوق و مدى ادراكه في قضاء حوائجه على يد خالقه ، فأدى النسق السجعي في خلق حالة من الامتزاج الروحي من خلال النغمات الإيقاعية التي أحدثها السجع المتنوع بين الألفاظ و تنوع مخارجه وانتقاله من صوت إلى آخر، هذا ينمّ عن امتلاك الإمام عليه السلام الأساليب التقنية في رسم النص بالشكل الذي يذوب معه الدّاعي والمتضرع إلى رب العالمين جلّ شأنه.

ورد كذلك في السجع المتوازي عن الإمام عليه السلام إذ قال:

((توكلت على الحي الذي لا يموت وتحصنت بذي العزة والعظمة والجبروت واستعنت بذي الكبرياء والملكوت مولاي استسلمت إليك فلا تسلمني وتوكلت عليك فلا تخذلني ولجأت إلى ظلك فلا تطرحني، أنت المطلب وإليك المهرب تعلم ما أُخفي وما أُعلن وتعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور فأمسك اللهم أيدي الظالمين من الجن والإنس أجمعين واشفني وعافني يا أرحم الراحمين))[٣٠].

فقد تميز السجع المتوازي الوارد في النص ايقاعاً يتوازى مع الدلالة للألفاظ الواردة في ايضاح القدرة الربانية و تجلي مفهومها في سياقات الدعاء فقد جمعت الألفاظ على عدة مخارج صوتية (جبروت وملكوت) (تسلمني وتخذلني وتطرحني) (ظالمين وأجمعين وراحمين) (اشفني و عافني)، ففي المقطع الأول من الفقرات التي تحمل السجع أعطى صوت (التاء) و هو صوت شديد[٣١] في توطين الصفات الربوبية في قدرة الباري عزّ وجل على قضاء الحاجات وتفريج الكربات فيده مبسوطة وحده في تأمين حاجات البشر، وينظر الايقاع الذي يطغى على النص في إعطاء النص فسحة ايقاعية واضحة في تماسك جمل النص بعضها بالبعض الآخر، فالبنية النصية أدت المضمون الدلالي من خلال الدلالة في تقديم السجع كأداة تتسم بالإيقاع والجرس النصي مما يعطي مقبولية في الخطاب ونسق الأصوات أعطى صورة رائعة في تقديم المعنى العام للنص وهذا ما أراده الإمام عليه السلام في

الخلط بين صورة العبد المتضرع المتوجه إلى بارئه ورسم صورة للمتلقي الذي يسمع النص حتى يسرح في عالم الموسيقى النصية التي أحدثها السجع المتوازي، وتكمن بلاغة السجع أنه يؤثر تأثيراً بليغاً في النفوس وتطيب له الأرواح، ويروض الأذن الموسيقية وترتاح له الأذهان، مما يؤثر في طبيعة العلاقة بين المتلقي والنص في مدى التأثر و التأثير، و هذا ما عمد إليه الإمام عليه السلام في خلط الموسيقى النصية للألفاظ المسجوعة مع الدلالة المتنوعة حتى يعطينا خطاباً رائعاً تنطبق عليه التقنيات الأسلوبية ويكون مؤثراً و فاعلاً في قبول الدعاء و التضرع بخشوع للباري عز وجل شأنه.

فن السّجع المطرّف:

وهو اتفاق الألفاظ في التقفية واختلافها في الوزن[٣٢] وتقع قيمته الفنية في طرف الألفاظ و لذلك سمي بالمطرف [٣٣] ولعل في هذا النوع من السجع حرية أكبر للكاتب في استعمال الألفاظ بحيث تحكمه نهايات الألفاظ فقط و عدم الالتزام بالوزن في تقابل الألفاظ[٣٤].

وقد تناول خطاب الإمام الكاظم عليه السلام بشكل واسع في خطابه و خاصة الأدعية الموروثة عنه عليه السلام إذ قال:

((يا من تكبّر عن الأوهام صورته، يا من تعالى عن الصّفات نوره، يا من قرب عند دعاء خلقه، يا من دعاه المضطرون، ولجأ إليه الخائفون، وسأله المؤمنون، وعبده الشاكرون، وحمده المخلصون، أسألك بحق نورك المضيء و بحق موسى بن جعفر عليك، وأتقرب به إليك بين يدي حوائجي أن تصلي على محمد و آل محمد))[٣٥].

النص مليء بالسجع في كل فقراته و تحول من صوت إلى آخر في تناغم موسيقي ينم عن قدرة و براعة المتكلم في التحكم في النص الموجه للمتلقي، فقد وردت الألفاظ التي تحمل السجع (صورته و خلقه و نوره) (المضطرون و الخائفون و المؤمنون و الشاكرون و المخلصون) و الذي يعكس الدلالة اللفظية التي نوعها المتكلم في رسم معالم اللوحة الفنية المؤثرة في نفسية المتلقي، فاتسمت فقرات الألفاظ الأولى بنهاية صوت (الهاء) و الذي يخرج من بداية الفم والذي يتسم بصفة الهمس و الرخاوة[٣٦] بحيث يخرج الصوت المتسم بالخشوع والتضرع حتى ينقطع النفس و يبقى الأمل عند الباري عز وجل في قضاء الحوائج

وتيسير الأمور، ثم ينتقل النغم الإيقاعي في تغيير الرتابة في الأصوات لإحداث التّحفيز و القفزة الصوتية في استعمال صوت آخر[٣٧] وهو الواو الذي خلق نسقاً صوتياً مؤثراً مما أتاح مساحة واسعة في التنوع الصوتي بحيث ينشد السامع و يسرح في عالم الخشوع و الراحة النفسية و هذا كله ينصب في ديمومة العلاقة بين العبد و خالقه بانقطاع تام عن عالم الدنيا فتُقضى حاجة العبد و ما يريد من خالقه في أمور الدنيا و الآخرة.

عند الانتقال إلى نص آخر نجد المضامين التي تناولها الإمام عليه السلام في أدعية فيها صفة الذوبان الروحي والهيجان العاطفي نحو بارئ النسم وخالقه وهذه من موجبات قبول الدعاء في حالة الداعي و واحة و ساحة مقومات الدعاء.

((يا عدّتي عند شدّتي، ويا غوثي عند كربتي ، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، يا ذا القوة القوية ويا ذا المحال الشديد ويا ذا العزة التي كلُّ خلقك لها ذليل صلِّ على محمد و آل محمد و اكفني ظالمي و انتقم لي منه))[٣٨].

لعب السجع المسيطر على النص في منحه الفاعلية والتأثير في المتلقي بشكل واضح والذي نتج عنه تناغم الألفاظ المسجوعة في قرع ذهن المتلقي وهذه الألفاظ التي تحمل السجع (شدتي و كربتي) و كذلك (تنام، يرام) تنوع الأصوات في بداية الفقرات أعطى النص انزياحاً واضحاً في الدلالة النصية و الفاعلية القوية في تقوية الدلالة بتنوع الألفاظ و صورها و عندما نمعن النظر على الصوت الذي وقع عليه صوت (الياء) و الذي يعرف عنه حرف مدّ فيه دلالة في مد الصوت و تناسب مع طلب الحاجة و الدعاء بأسلوب يتطلب فيه مد الكلمات بحيث ينقطع فيه النفس، فالنسق الذي لعبه صوت (الياء) يعطي صفة الإطالة النصية لفقرات النص و هذا ما يتناسب و المضامين الأساسية في كيفية الدعاء و الذوبان عند قراءته و الانتقال إلى عالم الانسجام الروحي و التفاعل النفسي فيعمد الداعي إلى توظيف الأصوات في إطالة الأنين عند التوجه إلى الباري و هذا الأنين يخلق موسيقي و انسجام في النغم[٣٩] الصادر من الداعي مما يجعله قريباً من الباري عز و جل، فالإمام عليه السلام يعمل على توطين الألفاظ و الدلالة اللفظية من خلال خلق النغم الصوتي الحاصل في الفواصل السجعية التي تحكم النص و يُعطينا مساحة واسعة في القرب الإلهي من خلال التمازج الروحي في إدامة التفاعل الروحي عند الدخول في الدعاء، و لعل التكرار الواضح في الياء

بشكل سجعي أكسب النص بطئاً في الموسيقى مع بقاء الوحدة الإيقاعية بحيث إن هذا التشابه في النسق اللفظي أعطاها جرساً يتلاءم فيه الدلالة اللفظية مع النغم الحاصل لتلك الألفاظ الواردة في النص[٤٠] فالناظر للنص يراه كتلة واحدة من الانسجام و الالتحام بين فقراته الصوتية و الدلالية في جميع فقرات الدعاء مما يبرهن على قدرة الإمام عليه السلام في جعل السامع في متعة أسلوبية و تقنية كلامية في حياكة النصوص ورسمها بالشكل المتقن والصحيح والفاعل و المؤثر.

التداخل الفني بين السجع المطرف والمتوازي:

استعمل الإمام الكاظم عليه السلام شبكة من الألفاظ المسجوعة في نص واحد في أنواعه المتعددة و منه استعمال السجع المطرف مع السجع الموازي في خطابه و نراه جلياً في قراءتنا لأحد النصوص الواردة عنه عليه السلام فقد روي هذا الدعاء:

((اللّهم يا سابق الفوت، و يا سامع الصوت، و يا محيي العظام بعد الموت و هي رميم، أسألك باسمك العظيم الأعظم أن تصلي على محمد عبدك و رسولك و على أهل بيته الطيبين الطاهرين و تعجل لي الفرج مما أنا فيه))[٤١]

جمع الخطاب ما بين السجع المطرف و المتوازي من خلال هذه الألفاظ

(الفوت ، الصوت ، الموت) (رميم و عظيم) ⟵ سجع متوازي

(عبدك و رسولك)(الطيبين و الطاهرين) ⟵ سجع مطرف

لعب الدور الإيقاعي في تنوع الألفاظ المسجوعة دوراً مهما في كسر الرتابة وإحداث التفاتة في ذهن السامع، وهذا حدث عن دراية و قصد ووعي وتقنية كلامية من لدن المتكلم في شد ذهن السامع وإعطاء المتلقي فسحة من الذوبان العشقي في واحة الباري عزّ وجل مما يعكس قضاء الحاجات وتيسير الأمور وهذا كله تكرسه الموسيقى المترتبة من الألفاظ المسجوعة في النص. فلو أمعنا النظر في الفقرة الأولى من الألفاظ التي تحمل سجعاً نرى حرف الواو قد لعب دوراً مهماً في مد الصوت ونحن نعلم أن صوت (الواو) من حروف المد واللين وجهره المعروف عند نطقه[٤٢] فقد أدّى هذا الصوت المطلوب منه في الألفاظ و هذا ما يتناسب ودلالة الدعاء في الإطالة والمد عند الدعاء، فالألفاظ المسجوعة في النص جاءت

مركزة وبشكل متتابع في ايضاح القدرة الربانية لشمول العبد المخلوق بالرحمة والرضوان، فكان لها الوقع في جرس الأذهان و الأسماع و لسرعتها في اليقظة والتنبيه، فالألفاظ القصيرة المسجوعة تكون ذات تأثير واضح وخفة في ادراك قلب السامع في سمعها وعذوبتها فالقصر في الألفاظ يعطيها رقة وحسناً[٤٣] فهذا الاجتماع في السجع المتوازي والمطرف أعطى قوة في الدلالة وعمق في المعنى مع تكثيف المفهوم العام للسجع بشكل عام و هذا ينم عن امتلاك الإمام عليه السلام في استخدام الألفاظ و التحكم بها بما يناسب الحدث و الحديث و التحكم اللغوي في الخطاب بما يحقق التقنية في الأسلوب و البراعة في الكلام في تحقيق المراد و تناسب اللفظ مع المعنى بشكل متقن و رصين.

الخاتمة:ـ

الحمد لله رب العالمين فقد أتممنا بحثنا و توصلنا إلى النتائج التالية:

١- أعطى الفن السجعي النتائج المرجوة التي خطها الإمام الكاظم عليه السلام من حيث ايصال الصور التي اعتمدها في خطابه و تحصين هذه الصور بفن بلاغي متقن.

٢- شكل فن السجع اسلوباً فنياً رائعا أخذ اهتمامه عليه السلام من وحي البلاغة و الفصاحة التي كان يتمتع بها عليه السلام.

٣- التصوير الفني الرائع الذي يتمتع به النص الكاظمي بكل أنواعه شكل نقطة انطلاق نحو دراسة النص دراسة ممتعة يفسح فيها المجال نحو الابداع التحليلي

هوامش البحث

(١) لسان العرب: ج٨/ ١٥٠

(٢)البلاغة العربية: ٥٠٣/٢

(٣) سر الفصاحة: ١٧١

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:١/ ٢١٠

(٥) جواهر البلاغة: ٤٣٢

(٦) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام احمد فرج ، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ٢٠٠٧ ، ط١: ١١٧

(٧) ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت

١٩٩٦ ، ط١: ١ / ٣٣

(٨) ينظر الرسائل المشرقية الفنية في القرن الثامن للهجرة دراسة أسلوبية (اطروحة دكتوراه) ، كريمة نوماس محمد المدني ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٣: ٤٢

(٩) حسن التوسل: ٤٩

(١٠) ينظر: أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين عليه السلام دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، أحمد سميسم علاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦: ٤٢

(١١) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر، ١٩٩٦، ط٤: ٢٨٣

(١٢) ينظر: جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب: ٢٢٦

(١٣) ينظر: خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف- مدة السبي - دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) خنساء مهدي حمود، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١: ٤٦

(١٤) المقاييس البلاغية عند الجاحظ، د. فوزي السيد عبد ربه، مطبعة أبناء وهبة، ٢٠٠٥: ٢٥٢

(١٥) ينظر: خزانة الأدب و غاية الإرب، ابن حجة الحموي، ت كوكب ذياب، دار صادر بيروت، لبنان ٢٠٠١، ط١: ٢٧٣/٤

(١٦) ينظر: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، آمنة حسين يوسف، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل، ٢٠١٥: ٥٦

(١٧) مسند الإمام الكاظم عليه السلام: ج٢/٧٣

(١٨) ينظر: بلاغة الخطاب و علم النص، د. صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة للفنون و الآداب ، الكويت، ١٩٩٢: ٢١٥

(١٩) في جدل الحداثة الشعرية، عبد السلام المسدي، مجلة الأقلام ، السنة الحادية و العشرون، كانون الثاني، العدد١، ١٩٨٦: ٦١

(٢٠) مصباح المتهجد و سلاح المتعبد: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت لبنان، ١٩٩١، ط١: ٥٠٥

(٢١) ينظر: خطب نساء أهل البيت ع ، (دراسة اسلوبية):٤٧

(٢٢) ينظر: النثر الفني في ثورة التوابين و إمارة المختار الثقفي ، دراسة لغوية أسلوبية، هاشم جبار الزرفي، مؤسسة وارث الأنبياء، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ٢٠١٦ ، ط١: ١١٤

(٢٣) علم البديع ، محمود أحمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت لبنان، ١٩٩١، ط١: ١٣٠

(٢٤) ينظر: خزانة الأدب و غاية الأرب: ٢٤٨/٤

(٢٥) ينظر: المناجيات و أدعية الأيام دراسة اسلوبية (رسالة ماجستير):٤٤

(٢٦) ينظر: النثر الفني في ثورة التوابين و إمارة المختار الثقفي دراسة لغوية اسلوبية:١٠٩

(٢٧) مصباح المتهجد، ٥٠٢

(٢٨) ينظر: خطب نساء أهل البيت عليهن السلام: ٤٨

(٢٩) ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤

(٣٠) مصباح الكفمي، الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي، مؤسسة النعمان للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان ١٩٩٢:ج١/ ٢٥١

(٣١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٣

(٣٢) ينظر: جواهر البلاغة: ٤٣٢

(٣٣) ينظر: السجع القرآني دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) ، هدى عطية عبد الجبار، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ٢٠٠١: ٣٧

(٣٤) ينظر: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة دراسة أسلوبية ، آمنة حسين يوسف(رسالة ماجستير): ٥٢

(٣٥) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٥١٥

(٣٦) ينظر: الكتاب: ٤٣٤

(٣٧) ينظر: المناجيات وادعية الأيام عند الإمام زين العابدين عليه السلام ، دراسة أسلوبية، ادريس طارق حسين (رسالة ماجستي) كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠٠٦: ٤٧

(٣٨) مصباح الكفعمي، الشيخ الكفعمي: ٢٣٥

(٣٩) ينظر: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة دراسة أسلوبية ، آمنة حسين يوسف (رسالة ماجستير)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠١٥: ٤٧

(٤٠) ينظر: جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات(١٩٥)، وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠: ٢٨٤

(٤١) مصباح الكفعمي، الشيخ الكفعمي: ٢٠٤.

(٤٢) ينظر: الكتاب:٤٣٤

(٤٣) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤: ٣/٢٣

قائمة المصادر والمراجع

- أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين عليه السلام دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، أحمد سميسم علاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦.
- الأصوات اللغوية ، ابراهيم انيس ، مكتبة الإنكلومصرية، القاهرة، ١٩٧١، ط٤.
- بلاغة الخطاب و علم النص، د. صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة للفنون و الآداب ، الكويت، ١٩٩٢.
- البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، ١٩٩٦، ط١.

- جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات(١٩٥)، وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠.
- جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، احمد الهاشمي، ت احمد التونجي، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٨، ط٤.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر، ١٩٩٦، ط٤.
- خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف- مدة السبي - دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) خنساء مهدي حمود، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١.
- دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، آمنة حسين يوسف، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل، ٢٠١٥.
- الرسائل المشرقية الفنية في القرن الثامن للهجرة دراسة أسلوبية (اطروحة دكتوراه) ، كريمة نوماس محمد المدني ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٣.
- السجع القرآني دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) ، هدى عطية عبد الجبار، جامعة عين شمس، كلية الآداب.
- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت٤٦٦)، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ط١.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤.
- علم البديع ، محمود أحمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت لبنان، ١٩٩١، ط١.
- في جدل الحداثة الشعرية، عبد السلام المسدي، مجلة الأقلام ، السنة الحادية و العشرون، كانون الثاني، العدد١، ١٩٨٦.
- الكتاب: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه ت (١٨٠) ،ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) مادة (كرّ)،دار صادر - بيروت١٤١٤ هـ.

- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ،ابن الأثير، قدمه د. أحمد الحوفي و د. بدوى طبانه ،دار نهضة مصر للطبع و النشر القاهرة
- مسند الإمام الكاظم عليه السلام، ج١، ج٢، عزيز الله العطاردي، مطبعة دار الصفوة ، بيروت، لبنان، ٢٠١٢، نشر العتبة الكاظمية المقدسة.
- مصباح الكفمي، الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي، مؤسسة النعمان للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان ١٩٩٢.
- مصباح المتهجد و سلاح المتعبد: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت لبنان، ١٩٩١، ط١.
- المقاييس البلاغية عند الجاحظ، د. فوزي السيد عبد ربه، مطبعة أبناء وهبة، ٢٠٠٥.
- المناجيات و ادعية الأيام عند الإمام زين العابدين عليه السلام ، دراسة أسلوبية، ادريس طارق حسين (رسالة ماجستير) كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠٠٦.
- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي(٨٣٧)، ت عصام شقيو، مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ٢٠٠٤ ط الأخيرة.